سلسلة الرسائل (٤٩)

مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٥هـ

استثمار الوقت

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

الوادعية

alwadei967.blogspot.com
telegram.me/alwad3ya

استثمار الوقت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله ونبيه محمد الأمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)﴾ [الفرقان:٦٢].

في هذه الآية الكريمة بيان من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه جعل الليل والنهار ﴿خِلْفَةً﴾ أي: يخلف هذا هذا، يخلف الليلُ النهارَ، ويخلف النهارُ الليلَ.

﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾ لمن أراد أن يذكر ويعتبر ويتعظ، أو أراد أن يكون من الشاكرين.

ففي التأمُّل في تعاقب الليل والنهار-وأنهما لا يجتمعان-عبرة للمعتبرين.

أيها النساء لقد كنَّا قبل أيام نستقبل شهر رمضان، ثم دخل شهر رمضان ومضى شيئًا فشيئًا حتى انسلخ، شهر المغفرة والتوبة والرحمة، شهر

القرآن، وهكذا الأيام والليالي والأعوام والساعات تمشي، وها نحن في شهر شوال، وما ندري إلا وقد انتهى، ويأتي عام جديد وما ندري إلا وقد انتهى، كأن مرورها غمضة عين، أو أضغاث أحلام، أو سحابة انقشعت، وصدق النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذ يقول: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ»(١).

فتكون السنة في طول الوقت كالشهر... الخ، وأما اليوم فيكون في سرعة مروره كاحتراق سعفة النخل-وهي الخوص كالريش لكنه قوي حاد-، وسعفة النخل تشتعل سريعًا في ثواني.

فما أسرع الأيام في الأعوام!

وبمرور هذه الأيام والشهور والسنين تنتهي مراحل العمر، وتنتهي الأطوار التي قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنها: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩)﴾ [الانشقاق: ١٩]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤].

---

(١) رواه أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (١٦/ ٥٥٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في «الصحيح المسند» (١٤٣٩) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فيكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينفخ فيه الروح، وتتكون العظام، ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾[المؤمنون:١٤].

ثم يخرج طفلًا كما قال سُبحَانَهُ: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾[الحج].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الروم آية رقم(٥٤): ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ضَعِيفًا نَحِيفًا، وَاهِنَ الْقُوَى، ثُمَّ يَشِبُّ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى يَكُونَ صَغِيرًا، ثُمَّ حدثًا ثم مراهقًا شَابًّا، وَهُوَ الْقُوَّةُ بَعْدَ الضَّعْفِ. اهـ.

يكبر حتى يكون شابًّا بالغًا ويجري عليه قلم التكليف، كما قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ»(٢).

ومرحلة الشباب مرحلة نفيسة، سن الحيوية والنشاط، وكما يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير سورة الحديد رقم الآية (٢٠): الإنسان يكون فِي أَوَّلِ عُمْرِهِ وَعُنْفُوَانِ شَبَابِهِ غَضًّا طَرِيًّا لَيِّنَ الْأَعْطَافِ، بَهِيَّ الْمَنْظَرِ.

---

(٢) رواه أبو داود (٤٣٩٩) عَنِ علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثم ينتقل إلى مرحلة الكهولة، ثم إلى مرحلة الشيخوخة، وقد وصف هذا الحال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير سورة الحديد رقم الآية (٢٠)، وقال: ثُمَّ إِنَّهُ-أي: بعد مرحلة الشباب-يَشْرَعُ فِي الْكُهُولَةِ، فَتَتَغَيَّرُ طِبَاعُهُ، وَيَنْفَدُ بَعْضُ قُوَاهُ، ثُمَّ يَكْبَرُ فَيَصِيرُ شَيْخًا كَبِيرًا، ضَعِيفَ الْقُوَى، قَلِيلَ الْحَرَكَةِ يُعْجِزُهُ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[الرُّومِ: ٥٤].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية من سورة الروم: ثم يَشْرَعُ-بعد الشباب-فِي النَّقْصِ، فَيَكْتَهِلُ، ثُمَّ يَشِيخُ، ثُمَّ يَهْرَمُ، وهو الضَّعْفُ بَعْدَ الْقُوَّةِ، فَتَضْعُفُ الْهِمَّةُ وَالْحَرَكَةُ وَالْبَطْشُ، وَتَشِيبُ اللِّمَّةُ، وَتَتَغَيَّرُ الصِّفَاتُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ، وَلِهَذَا قال تعالى:﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشاءُ﴾ أَيْ: يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَتَصَرَّفُ فِي عَبِيدِهِ بِمَا يُرِيدُ ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾. اهـ.

ومرحلة الهرم والخرف-والعياذ بالله-، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في وصفِها:

﴿وَمِنكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج].

وبهذه المراحل تنتهي حياته، هذه المراحل تُدني من الأجل، هذه المراحل على أطوار وهي تقرب من الأجل.

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقْطَعُهَا ۞ وَكُلَّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ

وقال آخر:

يَسُرُّ المَرءَ مَا ذَهَبَ اللَّيَالِي ۞ وَكَانَ ذَهَابُهُنَّ لَهُ ذَهَابَا

وقال آخر:

تَمُرُّ بنا الأيام تترى وإنما ۞ نُسَاقُ إلى الآجال والعين تَنْظُرُ

فلا عائِدٌ ذاك الشباب الذي مضى ۞ ولا زائل هذا المشيب المُكَدِّرُ(٣)

قد يفرح الإنسان أحيانًا باستعجال الزمن، مثلًا: هذا الأسبوع، وهذا الشهر؛ لأنه منتظر لهدف، مثل: المرأة الحامل تكون في غمٍّ وهَمٍّ فما تبالي،

(٣)مرجع البيتَيْنِ «فضائل القرآن» (١١) لابن كثير.

مع أنها تسعة شهور، أهم شيء عندها أن هذه التسعة الشهور تمشي، وهي تقربها من الأجل، تقربها من وفاتها، الذي في سجن كذلك يَعُدُّ الأيام ويحسبها وربما السنين، وأهم شيء تمضي، وهكذا الذي في انتظار شيء مفرح كذلك..، ولكنه يقرِّبُ من الأجل.

هذه المراحل تقرب وتدني من الأجل، وسُرعان ما تمر وتنقضي، فما أسرع ذلك!

إن في هذا عظة، وعبرة، وتبصير لمن تبصَّرَ وتدبَّر، فيعرف شرف العمر وفضله.

هذه الأيام والسنوات التي هي عبارة ربما عن ستين عن سبعين عن أقل أو أكثر، لا تعد شيئًا؛ فلهذا المفرطون في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يندمون ويتحسرون، ويدركون أنهم ما عاشوا شيئًا، عبارة عن عشية وضحاها، عن زمنٍ قليل يوم أو بعض يوم.

قال سبحانه: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤)﴾[طه:١٠٤].

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)﴾[المؤمنون].

جزء يوم، مع أن أحدهم قد تعمَّر الثمانين السبعين الستين، ولا اعتبرها إلا يومًا واحدًا أو بعض يوم.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦) ﴾[النازعات].

العشية: آخر اليوم، والضحى: أول اليوم.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) ﴾[الروم].

والساعة عند العرب: عبارة عن زمن مجهول المقدار، ليست الساعة المتعارف عندنا بالدقائق، عبارة عن ستين دقيقة.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥) ﴾[يونس]، إلى غير ذلك من الآيات التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن المفرطين في دينهم، وطاعة ربهم، والمفرطين في الخير، أنهم يعترفون ويتحسرون، وكأنهم ما بقوا إلا لحظات يسيرة.

إننا نستفيد من هذا-أخواتي في الله-:

-قِصَرُ الأعمار؛ فكأنهم لم يعيشوا في الدنيا سوى ساعة أو نحوها.

-الزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة.

فدار الدنيا دار لعب ولهو وغرور، دار يجب أن نحذر من فتنتها وأن نقبل على آخرتنا، دار الأحزان والمصائب والآفات والآلام، (دار إن أضحكت قليلًا أبكت كثيرًا، وإن سرت يومًا ساءت دهرًا، وإن متعت قليلًا منعت طويلًا)(٤).

هذه أوصاف الدنيا، فهي دار محفوفة بالآلام والمنغصات.

---

(٤)ما بين القوسين من كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «زاد المعاد» (٤/ ١٧٤).

وكما قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف هذه الدار: فَإِنَّهَا دَارُ نَفَادٍ لا مَحَلُّ إِخْلادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لا مَنْزِلُ حُبُورٍ(٥)، ومَشْرَعُ انْفِصَامٍ لا مَوْطِنُ دَوَامٍ.

يعني: دار الدنيا ليست دار بقاء، فهي فقط عبارة عن جسر نركب عليه، فلا نتخذها وطنًا ودار استقرار، ولا نَحْلَمُ فيها بنعيم وسرور باستمرار.

(ومَشْرَعُ انْفِصَامٍ) أي: فراق، فلا بد في الدنيا من فراق، قد يكون هذا الفراق مؤقتًا، يسافر مثلًا، البنت تتزوج، الصديق يفارق صديقه، ولكنه مؤقت، وقد يكون هذا الفراق مؤبَّدًا، وهناك التلاقي في عرصات يوم القيامة، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥)﴾ [غافر: ١٥].

سُمِّي يوم القيامة يوم التلاق؛ لأن الناس يتلاقون هناك؛ إذ هو يومٌ يجمع الله فيه الأولين والآخرين، ثم المقر الجنة أو النار والعياذ بالله، وفي الجنة يتلاقى المؤمنون ويتزاورون، ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذ أعزنا بالإيمان

---

(٥) الحبور: النعيم ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف]، أي: تنعمون.

ومنَّ علينا بالسنة-في حين كثير من الناس يتخبطون في الفتن، وفي الأهواء والضلالات-أن يمُنَّ عليها بالفوز بالجنة.

فهنا الشاهد من هذه الآيات: التزهيد في الدنيا، وأنها ليست دارًا حقيقية.

وسببُ ذِكْرِ المفرطين في الخير والطاعة قِصَرَ أعمارهم دفع الحجة والعذاب عنهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره»(٤/٦٢٦): الدُّنْيَا كُلُّهَا وَإِنْ تَكَرَّرَتْ أَوْقَاتُهَا وَتَعَاقَبَتْ لَيَالِيهَا وأيامها وساعاتها، كأنها يوم واحد؛ ولهذا يستقصر الكافرون مُدَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ غَرَضُهُمْ فِي ذَلِكَ دَرْءَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؛ لِقِصَرِ الْمُدَّةِ.

ولكن هيهات أن ينفعهم، فالحجة قائمة عليهم ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ [غافر: ٥٠].

-ونستفيد أخواتي في الله: أن الدار التي نعيش فيها ليست دار حياة.

هذه الدار التي يظنها كثير من الناس أنها المستقبل، وأنها السعادة والأصل، وأنها التجارة الرابحة.

هذه الدار الدنيا التي لم يُعلم حقيقتها كثير من الناس، فتعلقت القلوب بها حتى جاءهم الموت و﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ(٧٢)﴾[الحجر].

يقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦)﴾[الفجر].

لم يعتبر الحياة الأولى شيئًا.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)﴾[العنكبوت: ٦٤].

فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحذر من الاغترار بهذه الحياة الدنيا، ويبين أن الحياة الحقيقية هي الحياة الأخروية، فلو أن القلوب تفقه ما آثرتِ الحياة الدنيا على الحياة الأخرى، التي هي مجرد صبغة يُصبغ في الجنة، فينسى جميع ما مَرَّ

به من المتاعب في الدنيا، كما قال النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا(٦) فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ» رواه مسلم (٢٨٠٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

مجرد غمسة فقط يُغمسها المؤمن في الجنة، فينسى جميع ما مرَّ به من البؤس والفقر والمتاعب.

وأما الكافر فيصبغ في النار صبغة فيقال له: هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا، ما مَرَّ بي نعيم قط. نسي النعيم الذي كان يتمتع به.

فالحياة هي حياة الآخرة، وأما هذه الدار الدنيا فما هي إلا ممر نمر عليها للآخرة.

---

(٦) البؤس: الشدة.

فاستثمري وقتك بالخير والطاعات، واعمريه بالبر والقُرُبَات.

وكما قال والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي لنا أن نحرص كل الحرص على شغل أنفسنا بالعبادة؛ فإن العبادة تقوي القلب، لكن القلب الفارغ الشيطان يتخطَّفُه(٧).

العبادة تشغل القلب وتملؤه بالحيوية، العبادة ثبات وتثبيت للقلوب، بخلاف القلب الفارغ فإنه يتخطفه الشيطان.

فمن السبل التي يجد الشيطان فرصة فيها على ابن آدم، أن يكون القلب فارغًا مما ينفعه، فارغًا من مصالحه ومنافعه، غير مشغول بالعبادة والذكر والخير، فيتسلط عليه الشيطان، وتأتيه الوساوس، والتفكيرات، والانشغالات المدمرات، لماذا؟

لأنه تسلط عليه الشيطان، قلبه فارغ، قلبه مشغول بالناس وعيوبهم وأحوالهم، وما أحسن ما قيل:

مراتبُ المجدِ لا يرقى لها أبدًا ❁ من همّهُ الناسُ ما قالوا وما فعلوا

---

(٧) ش « الأمان من مكايد الشيطان».

وأجمل الناس أعمى عن مساوئهم ❁ وقلبهُ الحُرُّ بالعلياءِ منشغلُ

فاشغلي قلبك بالخير والذكر، قوي قلبك بالإيمان، واجعليه مأوى الطاعة والبِرِّ، وتعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فما أحسن هذه النصيحة: القلب الفارغ يتخطفه الشيطان!

فلا تجعلي للشيطان عليك سبيلًا، اشغلي وقتك بالخير، افتحي المصحف، اقرئي القرآن، احفظي، راجعي، اجعلي لكِ ولو درسًا واحدًا في اليوم، صلي، اذكري الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لا تبقي فارغةً بحال من الأحوال، فيتشتت ذهنُكِ، ويثقل رأسُك، وتتعب نفسيتُكِ، ويتسلط الشيطان عليك، ويجلب لك هُمومًا وغمومًا أنتِ في غِنًى عنها، فاستعيني بالله.

وقد ذكرتُ لوالدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ امرأةً عاميَّةً تعمل وتتعب في المزارع، فقال: أحسن لا تكون لا دنيا ولا دين!

أيها الأخوات نحن نتعلم العلم؛ لنستفيد من العلم، ونتبصَّر بنور العلم، ونعرف الضار من النافع، والخير من الشر، وإلا ما انتفعنا به.

إن بعض النساء يشغلها تذكار الماضي، من أحزانٍ ومتاعب، ومرحلة الطفولة والعزوبة وكذا وكذا..، فيشغلها هذا في نفسِها، ويضيع وقتها، ولقاءاتها ومجالسها.

ودَعِ الذِّكرَى لِأَيَّامِ الصِّبَا ۞ فَلِأَيَّامِ الصِّبَا نَجْمٌ أفَلْ

وبعض النساء تشغل بالها في الأمور المستقبلة، عندك زمن ماض، وعندك حاضر، وعندك مستقبل.

عندك ماضي، ويقال: الماضي لا يُذكر، حتى بينك وبين زوجك، يعني: ما تجلسين تُعددين الأخطاء والتقصير، وأنتَ فعلتَ، وأنتَ قلتَ، والرجل كذلك؛ فبعض الرجال خُلُقُهُ أسوأ وأضيق!

الماضي لا يُذكر، فالعفو والصفح والتغاضي، وخاصَّةً ما دام طيب المعاملة، ويحبُّكِ ويحترمك، أنتِ زوجة له، وهو أبو أولادك، ومرت حياة قد تكون سنين كثيرة، ﴿ وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾[البقرة: ٢٣٧].

فغضِّي الطرف؛ الماضي لا يُذكر، وهكذا بينك وبين أولادك، أو صاحباتك أو جاراتك..، نسأل الله أن يصلحنا جميعًا، هذا من الأخطاء، والعلم يبصِّر، سبحان ربي العلي العظيم!

أو شغل بالمستقبل، تفكير في المستقبل، هذا أيضًا من الخطأ؛ هذا شيء مغيَّب.

إن المشغول بالوقت الحاضر يُنجز أعماله، ويُثمر أوقاته.

وهناك مقالة وهي: كن ابنَ يومك، كن ابنَ وقتك، أي: اشتغل بالحاضر، لا تشتغل بالماضي ولا بالمستقبل(٨).

---

(٨)يَقُولُونَ: الصُّوفِيُّ وَالْفَقِيرُ ابْنُ وَقْتِهِ.

يُرِيدُونَ: أَنَّ هِمَّتَهُ لَا تَتَعَدَّى وَظِيفَةَ عِمَارَتِهِ بِمَا هُوَ أَوْلَى الْأَشْيَاءِ بِهِ، وَأَنْفَعُهَا لَهُ. فَهُوَ قَائِمٌ بِمَا هُوَ مُطَالَبٌ بِهِ فِي الْحِينِ وَالسَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ.

فَهُوَ لَا يَهْتَمُّ بِمَاضِي وَقْتِهِ وَآتِيهِ، بَلْ يَهْتَمُّ بِوَقْتِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ.

فَإِنَّ الِاشْتِغَالَ بِالْوَقْتِ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ يُضَيِّعُ الْوَقْتَ الْحَاضِرَ، وَكُلَّمَا حَضَرَ وَقْتٌ اشْتَغَلَ عَنْهُ بِالطَّرَفَيْنِ. فَتَصِيرُ أَوْقَاتُهُ كُلُّهَا فَوَاتًا.

[مدارج السالكين(٣/ ١٢٤)].

إذا اشتغلتِ بالماضي جلب لك الأحزان، وإذا اشتغلتِ بالزمن المقبِل جلب لك الهموم والغموم.

وأمورنا يسيِّرها ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرحم الراحمين، ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢].

أنت ابذلي السبب يا أختي، ولكن لا تجلسي تفكرين، وربما لسنوات، مثل: بعض النساء-والله-تشغل نفسها أن زوجها ممكن يتزوج عليها في المستقبل، أو تفكِّر في أيام مستقبلة مؤلمة، اتركي هذه الوساوس ما فيه فائدة وراء هذا؛ المكتوب سيأتي لا محالة، الذي قدره الله سيأتي ولا بُدَّ، والذي اختاره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخير فيه.

وأحيانًا تجدين الفرَص متاحة لك، تجدين فرصة مزهرة سعيدة ثم تفوِّتينها، فتبقين تؤنِّبين نفسَك، لماذا فرَّطت وقد كانت متاحةً لي؟

الله تبارك وتَعَالَىٰ هو الذي صرفك عن هذا، وما صرفك عنه إلا لأنه ليس فيه خير لك، والمؤمنة تقطع وتحسِم هذه الوسوسةَ بالإيمان بالقدر.

روى الإمام مسلمٌ (٢٦٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

هذا علاج نبوي لنا؛ أن نقطع وساوس الشيطان بالإيمان بالقدر، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤)﴾[غافر].

فاستثمار الأوقات في الخير واجب، «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ».

ابخلي بوقتِك، الناس يعرفون البخل بالمال، هناك ما هو أعزُّ من المال-إي والله-البخل بالوقت، الشح بالوقت من أن يذهب سُدًى،

وهذا لا يشعر به إلا صاحب الإيمان، لا يشعر به إلا الغيور على وقتِهِ[٩]، فالوقت ثمين، يجب أن نشح به أن يضيع في غير فائدة.

فعلينا أن نتقيَ الله في أوقاتنا، وأن نستعين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن نحذر من الجليسات اللاتي لا يعرفن قيمة الوقت، الله سُبحَانَهُ يقول: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]. فنسأل الله أن يرزقنا جميعًا صحبة الأخيار، وأن يجنبنا صحبة الضائعين الأشرار الذين لا يعرفون قيمة الوقت، النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ» رواه البخاري (٦٤١٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(٩) قال ابن القيم في «مدارج السالكين»(٣/ ٥٠): الْوَقْتُ أَعَزُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ -أي: على العابد-، يَغَارُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْقَضِيَ بِدُونِ ذَلِكَ، فَإِذَا فَاتَهُ الْوَقْتُ لَا يُمْكِنُهُ اسْتِدْرَاكُهُ الْبَتَّةَ؛ لِأَنَّ الْوَقْتَ الثَّانِيَ قَدِ اسْتَحَقَّ وَاجِبَهُ الْخَاصَّ، فَإِذَا فَاتَهُ وَقْتٌ فَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى تَدَارُكِهِ.

فَالْوَقْتُ مُنْقَضٍ بِذَاتِهِ، مُنْصَرِمٌ بِنَفْسِهِ، فَمَنْ غَفَلَ عَنْ نَفْسِهِ تَصَرَّمَتْ أَوْقَاتُهُ، وَعَظُمَ فَوَاتُهُ، وَاشْتَدَّتْ حَسَرَاتُهُ، فَكَيْفَ حَالُهُ إِذَا عَلِمَ عِنْدَ تَحَقُّقِ الْفَوْتِ مِقْدَارَ مَا أَضَاعَ، وَطَلَبَ الرُّجْعَى فَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الِاسْتِرْجَاعِ وَطَلَبِ تَنَاوُلِ الْفَائِتِ، وَكَيْفَ يُرَدُّ الْأَمْسُ فِي الْيَوْمِ الْجَدِيدِ؟!

وابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في «حفظ العمر»(٥٩): وَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ أَعَزَّ الأَشْيَاءِ شَيْئَانِ: قَلْبُهُ وَوَقْتُهُ، فَإِذَا أَهْمَلَ وَقْتَهُ وَضَيَّعَ قَلْبَهُ ذَهَبَتْ مِنْهُ الْفَوَائِدُ.

فأعز الأشياء عليك أمران: قلبك ووقتك!

اجمعي قلبك وحافظي على وقتك، فهذا أعز شيءٍ عليك قلبك ووقتك.

اجعلي قلبك يحوي الخير، وما ينفعك، اجعليه وعاء طيبًا طاهرًا، وعاءً للإيمان والعقيدة والعلم ومحبة الله عَزَّوَجَلَّ.

بعضنا ما تدري أن داخلها قلب تعيش به وتحيا به، فالقلب يحتاج إلى عناية ومجاهدة في إصلاحه، روى البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ؛ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ».

اللّٰهم أصلح سرائرنا!

والشيء الثاني: الوقت، نحرص عليه ما يضيع، ونكثر من الاستغفار، من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، وشتى أنواع الذكر؛ لأنه هذا خير كبير، هذا يغذِّي القلب، غذي قلبك يا أختي بالخير، بالقرآن، بذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، غذِّيه الغذاء الروحي.

ولقد وصف الحافظ ابن كثير الإمامَ النووي رَحِمَهُما اللهُ تَعَالَى بقوله: كان لا يضيع من وقته شيئًا.

ابن الجوزي في «صيد الخاطر»(٢٤١) يقول: صرت أدافع اللقاء جهدي: فإذا غُلبت، قصرت في الكلام، لأتعجل الفراق.

ثم أعددت أعمالًا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم؛ لئلا يمضي الزمان فارغًا، فجعلت من المستعد للقائهم: قطع الكاغد، وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاج إلى فكر، وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم؛ لئلا يضيع شيء من وقتي. نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعرفنا شرف أوقات العمر، وأن يوفقنا لاغتنامه.

بقدر ما يستطيع يدافع ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اللقاء بالناس؛ لأنه يشغله عن العلم، يشغله عن العبادة والمسابقة.

وبعض الناس ثقيل؛ يطيل الزيارة ولا يُقدِّر أوقات الناس وظروفهم، فجعل ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ طريقة إذا جاء إليه ناس يستغل فيها هذا اللقاء، وذلك ببري الأقلام وقطع الكاغد-الكاغد: الأوراق-، يجهزها، ما كانت سبل العلم متيسرة، والأقلام تحتاج إلى بري، فيتحدث معهم ويجهز الأقلام، فيستغل اللقاء بهذا، وما كانت الأمور متيسرة، نحن صارت سبل العلم متيسرة، الأجهزة والوسائل، والأوراق والأقلام، ولكن ابتُلي الناس-إلا من رحم الله-بالفتور، ابتُلوا بضعف الهمة، فذهب الخير من بين أيديهم، البركة من الله، كانوا يتعبون، فجعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم البركة!

فالوقت أختي في الله رأس المال، فاعمريه بالخير.

وانظري إلى جويرية أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا العابدة التقية، قالت: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً(١٠) حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟»، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ». رواه مسلم (٢٧٢٦).

والحديث يدل على أن جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا امرأة عابدة، وأن بكور اليوم يستغله النساء الصالحات، وأن النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان من هديه أن يستغل بكور اليوم.

وثبت عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ كَثِيرًا، «كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ، أَوِ الْغَدَاةَ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ

(١٠) البكرة: أول النهار، أول اليوم.

قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ» رواه الإمام مسلم (٦٧٠).

فضياع البكور حرمان وخسارة؛ لأنه وقت بركة، النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»(١١).

بكور اليوم يبدأ من بعد صلاة الفجر إلى بعد الشروق إلى الضحى.

قال تَعَالَى: ﴿ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١)﴾[آل عمران].

قال ابن جرير في «تفسيره»(٦م٣٧٩): وأما الإبكار فإنه مصدر من قول القائل: أبكر فلان في حاجة، فهو يُبْكِر إبكارًا، وذلك إذا خرج فيها من بين مطلع الفجر إلى وقت الضُّحى، فذلك إبكار. يقال فيه: أبكر فلان، وبكَّر يَبكُر بُكورًا.

وبعض النساء تظن أن لها عذرًا في عدم استغلالها الوقت؛ لوجود الأولاد والأعمال والمسؤولية، وهذا ليس بعذر، أنت اصدقي مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والله سييسر لك الخير ويوفقك، وأكثري من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٠٠٠) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

النساء في عهد النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كن العابدات الصوامات القوَّامات الحريصات على العلم النافع، ومعهن شواغل، وقد قال النسوة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: «وَاثْنَتَيْنِ»(١٢).

فالنساء في عهد النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذوات هِمَمٍ عالية مع شواغلهن، عندهن الأولاد، والمسؤلية، ولديهن الأعمال في داخل البيت، وأيضًا عند بعضهِن خارجه، وأعمال البيت كانت شاقة، الآن المرأة كُفيَتْ كثيرًا من مشاق الحياة، فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تعبت من الرحى وهي تطحن الحبوب، تعبت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي ابنة النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وسيدة نساء أهل الجنة، وتخدم وتشتغل.

روى البخاري (٣١١٣)، ومسلم (٢٧٢٧) عن عَلِيٍّ، أَنَّ فَاطِمَةَ اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ، فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١٢) رواه البخاري (١٠١)، ومسلم (٢٦٣٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أُتِيَ بِسَبْيٍ، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَلَمْ تُوَافِقْهُ فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ، فَأَتَانَا وَقَدْ أخذنا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا» حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا الله أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ».

وهذا إرشاد للأفضل، وإلَّا الخادم ليس بحرام، مع أن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تعبت، وأرادت من يساعدها، حتى إن الرحى أثَّر في يدها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفيه دليل على أن هذه الأذكار من أذكار النوم(سبحان الله والحمد لله والله أكبر).

فهذه الألفاظ يقولها الذي يريد النوم، وهي قوة بدنية، وقوة إيمانية!

وكان من النساء من تخرج تساعد في خارج البيت، يساعدنَ أزواجهن ويسعدن أهليهن، وقد خرجت أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من مسافة بعيدة، ورجعت تحمل النوى لفرس الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا من الأدب مع الزوج، ومن التودد للزوج؛ فإن خدمة المرأة لزوجها يجلب المودة والمحبة بين الزوجين.

وروى الإمام مسلم (١٤٨٣) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: طُلِّقَتْ خَالَتِي، فَأَرَادَتْ أَنْ تَجُدَّ نَخْلَهَا، فَزَجَرَهَا رَجُلٌ أَنْ تَخْرُجَ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «بَلَى فَجُدِّي نَخْلَكِ، فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِي، أَوْ تَفْعَلِي مَعْرُوفًا».

خرجت تَجُدُّ نَخْلَهَا، أي: تقطع الثمر، فأنكر عليها بعضهم لماذا تخرج وهي في عدتها –عدة مطلقة –؟ فذهبت تسأل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَلَى فَجُدِّي نَخْلَكِ، فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِي، أَوْ تَفْعَلِي مَعْرُوفًا».

فالنساء كان عندهن شواغل، وحرص على الفقه، وإذا أشكل شيءٌ أو اختلاف يتحاكمنَ إلى الدليل، ويسألنَ أهل العلم.

أم أسيد الصحابية كانت عروسًا لأبي أسيد فصنعت لهم طعامًا وقرَّبته لهم[١٣].

---

(١٣) قال الإمام البخاري: بُاب قِيَامِ المَرْأَةِ عَلَى الرِّجَالِ فِي العُرْسِ وَخِدْمَتِهِمْ بِالنَّفْسِ.

قد يشكل كيف تقرب الطعام للرجال؛ لأنهم كانوا في وليمة؟

هذا محمول على أنه قبل الحجاب، أو أنه بغير بروز كما يقول الشيخ ابن باز. بغير بروز: أي بغير ظهور يعني: ما تظهر أمامهم.

النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دخل إلى زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي تمعس منيئة لها، يعني: تدبغ جلدًا لها، ﴿وَمِنْ أَصْوافِها وَأَوْبارِها وَأَشْعارِها أَثاثًا وَمَتاعًا إِلى حِينٍ(٨٠)﴾ [النحل]. كانوا ينتفعون بالجلود، فوجدها النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهي تمعس منيئة لها، وقد كان رأى امرأة، فأتى أهله، وقال: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ»(١٤).

ثم أخرج(٥١٨٢) عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: لَمَّا عَرَّسَ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ دَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ، فَمَا صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا وَلاَ قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ إِلَّا امْرَأَتُهُ أُمُّ أُسَيْدٍ، بَلَّتْ تَمَرَاتٍ فِي تَوْرٍ مِنْ حِجَارَةٍ مِنَ اللَّيْلِ «فَلَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الطَّعَامِ أَمَاثَتْهُ لَهُ فَسَقَتْهُ، تُتْحِفُهُ بِذَلِكَ».

أماثته: أذابته.

(١٤)رواه مسلم (١٤٠٣) عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً، فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ، وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ».

وهذا يدل على أن المرأة فتنة، ويدل على أن المرأة لا تكثر من الخروج، فالمرأة ما تكون خراجة ولاجة، قرارها في بيتها.

فالشاهد حفظكن الله: أن الصحابيات وعلى رأسِهن أمهات المؤمنين وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهن-وهن الفضليات-كان لديهن انشغالات، ولم يُثْنهن ذلك عن العبادة، وعن العلم واستثمار الأوقات.

لقد أوجد الله عظائمَ من مخلوقاته على هذه الدار؛ لأجل عبادته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

فخلق تبارك وتَعَالَى الثقلين لعبادته، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات:٥٦].

وخلق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى السماء والأرض؛ لأجل عبادته ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

وخلق الله الدنيا وما عليها؛ لأجل العبادة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)﴾ [الكهف].

وخلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الموت والحياة؛ لأجل العبادة ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

كل هذه الأشياء أوجدها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأجل عبادته وتوحيده؛ لأجل الابتلاء والاختبار.

فعلينا أخواتي في الله بأن نحافظ على أوقاتنا، وأن نحذر من الحسرة والندامة حيث لا يغني ذلك شيئًا، ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦].

نسأل الله أن يبارك لنا ولكن في الأوقات، وأن يوفقنا لكل خير، والحمد لله رب العالمين.

تم نشر هذه المحاضرة، ولله الحمد والمنة.

يوم الجمعة الموافق ٢٢/ من شهر شوال/ لعام ١٤٤٥ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.